مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 02، جوان 2021، صص: 161- 192

تاريخ الاستلام(2021/01/31)تاريخ القبول (2021/04/24)تاريخ النشر (2021/06/30)

رواية شيفرة دافنشي:
دينامية الأحداث وبلاغة السمات

The Da Vinci Code:
The Events Dynamism and Features Rhetoric

محمد فاتي
جامعة عبد المالك السعدي ـ تطوان (المغرب)، mohamedfati110@gmail.com

ملخص:

تتأسس دراستنا لرواية شيفرة دافنشي على إشكال أساسي يحاول استكشاف أهم التيمات الموضوعية التي تزخر بها رواية دان براون، و أبرز سيماتها الثقافية والإبداعية والجمالية. وتكمن أهمية الموضوع في وفرة المنابيع الفكرية والمعرفية التي تنهل منها الرواية، وفي تنوع خصائصها الاسلوبية وعناصرها البوليسية (كونها رواية بوليسية). كما أن نهجها الفني يقوم أساسا على نظام دينامي - تلغيزي قائم على توالي الشفرات وتسلسل دوامة الغموض. لهذا فإننا سنسعى في هذه الدراسة إلى استكشاف ملامح هذا الغموض ومعالم هذا التلغيز، وطبيعة هذه الحركة الدينامية التي تضبط إيقاع الأحداث ومسار الوقائع.

كلمات مفتاحية: رواية . شيفرة دافنشي . التيمات . دان براون . سيماتها . الإبداعية . الثقافية . البوليسية . دينامي.

Abstract:

Our study of the Da Vinci Code is based on a fundamental issue that attempts to explore the most important thematic topic that Dan Brown's novel abounds with, and its most prominent cultural, creative and aesthetic features. The importance of the topic lies in the abundance of intellectual and cognitive sources from which the novel draws, and in the diversity of its stylistic characteristics and police elements (being a police

المؤلف المرسل: محمد فاتي، الإيميل: mohamedfati110@gmail.com

novel). Its artistic approach is also fundamentally based on a dynamic - mystification based on ciphers/codes succession and a mystery whirlpool sequence. Therefore, in this study, we will seek to explore the lineaments of this mystery and the milestones of this mystification, and the nature of this dynamic movement that controls the pace of events and the course of facts, and the nature of this dynamic movement that controls the events pace and the facts course.

Keywords: Novel ; the Da Vinci Code; themes; Dan Brown; its features; creative; cultural: police; dynamic.

مقدمة:

تعتبر رواية "شيفرة دافنشي" من أهم الأعمال الروائية التي سلطت الضوء على بعض القضايا الشائكة في الدين المسيحي، وذلك في قالب بوليس تشويقي حاول من خلاله الكاتب دان براون توزيع أحداثه وموضوعاته بدينامية حكائية قائمة على الأقانيم الأساسية التي تميز الرواية البوليسية: الغموض . التشويق . المطاردة . الجريمة . الدين...الخ. ضف إلى ذلك الحركية والإيقاع السريع الذي عرفته الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، وهي عادة دأب علها رواد الرواية البوليسية. غير أن الرواية لا تقتصر على صيغتها البوليسية فقط، بل تحمل في طياتها كثافة في سماتها المتنوعة وتيماتها المتعددة. وقد استفاد دان براون من معارف كثيرة، ومجالات عديدة ساقها في روايته بأسلوبه الفني الرائع الذي جعل من الرواية خزانا لمجموعة من المعلومات الدينية والتاريخية والفنية. وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نصنف هذه الأحداث وتفرعاتها الدينامية المتشعبة في مختلف فصول الرواية، ثم سنلقي الضوء على أهم السمات التي طغت على الرواية، محاولين استنباطها من متن الرواية ووقائعها. وسنعتمد في ذلك المنهج الموضوعاتي، الذي يهدف إلى تفريع الرواية إلى مواضيعها الرئيسية والثانوية، تم تتبع مسار هذه الموضوعات ومآل احداثها، ثم استخراج أهم السيمات والتيمات الطاغية عليها. وقبل أن نخوض في غمار هذا التحدي لابد أن نستحضر بعض التساؤلات والإشكالات التي ستواجهنا في طريقنا للكشف عن هذه المعالم: ما هو موضوع الرواية ؟ كيف نصنف هذا الموضوع إلى مضامين فرعية ؟ كيف هو إيقاع الرواية؟،وما خصائص مسارها الدينامي ؟ ما هي السمات السائدة في الرواية؟ وما هي أبعادها الدلالية ؟...الخ.

أولا: دينامية الأحداث في رو اية شيفرة دافنتشي:

الحدث عنصر مركزي من عناصر النص السردي، وهو مكون يبصم على مختلف الوقائع الحكائية التي يرسمها الكاتب في عمله الأدبي، والتي يسعى من خلالها إلى تجسيم المواقف والقيم والأفكار، وترصد الأفعال والمشاعر والمزاج، وتتبع التقلبات والتطورات الفجائية التي تسري على مسار الحبكة النصية.

والحدث في رواية شيفرة دافنشي غني ومتنوع، كثيف ومتشعب، مثير ومشوق. فالكاتب اختار من أحداث روايته أن تكون طويلة وتفصيلية وإطنابية (تتكون من مائة وخمسة فصول)، رغبة في جر القارئ إلى شبكتها الغامضة والمثيرة والمتعددة الروافد والمنابع. وبالرغم من حجمها الكبير وتعدد أحداثها، وهذا ما يفرض على المتلقي التسلح بطول النفس القرائي والغوص في عمق مسارها الكثيف والغامض، إلا أن طابع التشويق والإثارة الذي ميز جل فصولها، كان حافزا جذابا لكل قارئ من أجل إتمام أحداثها، والتعرف على الحلول والتحولات التي طرأت عليها. خاصة وأن دان براون قسم أحداث روايته إلى فصول متعددة، على شاكلة المشاهد السينمائية، واختار أن ينتهي كل فصل بنهاية ناقصة غير تامة، لا تجد ارتباطها وتكملتها وأجزاءها الناقصة إلا في الفصول الموالية. ضف إلى ذلك أن الرواية مزجت في تركيبتها بين وقائع تاريخية حقيقية، وبين أحداث خيالية من نسج ذهن الكاتب، وجاءت غنية بالمعلومات والمعارف المتنوعة، والتي جُسِّدَت في قالب حكائي مليء بالمغامرات والشدائد والمفاجآت المشوقة.

ودان براون روائي عاش وانصهر في زمن ومكان السينما، لدى فتأثير الفن السابع سينكشف، لا محالة، في طريقة بنائه لأحداث روايته، حيث جاءت فصول الرواية متعددة وكثيفة (حوالي 105 فصل)، وجاءت الوقائع متفرعة ومنقسمة ومتنوعة: فهناك الأحداث التي تخص البطل ورفيقته في البحث، وهناك الأحداث التي تخص الشرطة وعملية المطاردة، وهناك الأحداث المرتبطة بالراهب الذي يسعى لتغيير مجريات الأحداث وإيجاد الكنز المفقود، ثم هناك الأحداث المرتبطة بالقس الكاثوليكي المترصد عن بعد لسيرورة الوقائع. وقد اختار دان براون أن يوزع هذه الأحداث بطريقة عشوائية وغير مرتبة على شاكلة المشاهد واللقطات السينمائية المتعددة المضامين في الفيلم الواحد، حيث ينتقل من طور

إلى طور دون تتابع في العرض الواحد للحدث، ولكن باحترام تام للتسلسل الزمني والمنطقي للتفاصيل.

ولا يمكن الحديث عن الطابع التشويقي . التأثيري للرواية دون ذكر للسمة الروائية التي هيمنت على حبكتها وصورتها الفنية، وهي السمة البوليسية التي ارتسمت في صفحات الرواية بكل خصائصها وتقاليدها وأعرافها: الجريمة . المطاردة . البحث . الهروب . الرومانسية . الغموض والتشفير . الإثارة . النهاية السعيدة....وكل هذا لخلق جسر تقاربي شفاف يجذب القارئ بعفوية وبساطة في التعبير ووضوح في الأفكار، وهذا ما عجزت عنه الرواية التجريبية الحديثة التي اختارت التفرد بالنخبة، عكس براون الذي أسس لأسلوب روائي حديث منفتح على العامة من القراء.

1.الأحداث الممهدة للبحث عن " الكأس المقدسة ":

أ. قتل قيم اللوفر جاك سونيير:

افتتحت أحداث الرواية بجريمة وقعت في ساعة متأخرة من الليل بإحدى القاعات الفنية لمتحف اللوفر في باريس، راح ضحيتها القيم المكلف بهذا المتحف الشهير (جاك سونيير) فقد حاول هذا الأخير جاهدا الهروب من مطاردة القاتل والاحتماء بإحدى اللوحات الفنية، حيث هرع و"**اندفع بقوة نحو أقرب لوحة استطاع رؤيتها، لوحة لكارافاجو**"1، لكن بدون جدوى، حيث سيتمكن المُطارِد من اكتشافه ورميه بطلقات نارية، بعد أن فشل في الحصول على معلومات جديدة ومفيدة تخص مكان تواجد الكأس المقدسة: "**دوى صوت المسدس وأحس القيم بحرارة لافعة من الرصاصة التي استقرت في معدته، ووقع إلى الأمام ...مقاوما الألم الذي يعتصره**"2. ورغم ذلك قاوم القيم لحظات الموت، وزحف مجاهدا ومتحديا جسده المحتضر، راغبا في نقل السر الذي يوشك على الاختفاء نهائيا: "**يجب أن أنقل السر**" 3، خاصة وأنه هو الوحيد الذي ظل يحتفظ به بعض قتل إخوته الثلاثة الحاملين للسر. ليترك قبل موته كلمات ورموز محيرة مكتوبة على الأرض، مرفوقة بإشارة لاسم شخص يدعى روبرت لانكدون.

إنها بداية تحمل في طياتها كل خصائص الرواية البوليسية الحديثة، وتلمح مقاطعها لمجموعة من الصور الفنية التشخيصية التي تجسد اللحظة المثيرة، وترصد المشهد العنيف

منذ اللحظات الأولى: المطاردة . الهروب . الاختباء والاحتماء . الجريمة: إطلاق النار بالمسدس . مقاومة الموت . ترك رموز وألغاز مبهمة في مسرح الجريمة بعد الموت ..

ب . استدعاء الأستاذ روبرت لانكدون إلى مسرح الجريمة:

كانت الرموز الملغزة التي كتبت في أرض الجريمة (قرب جثة سونيير)، العامل الأساسي في طلب الشرطة الاستعجالي لإحضار الأستاذ الجامعي روبرت لانكدون الذي جاء لباريس من أجل إلقاء محاضرة حول الرموز الدينية، فإذ به يلقى نفسه مطلوبا للحضور من أجل مساعدة الشرطة على فك التشفيرات التي تركها الضحية سونيير: **"لقد كنا نرجو أن تتمكن من مساعدتنا على الإجابة على هذا السؤال بالتحديد نظرا لخبرتك في علم الرموز" 4.**

هذا في الظاهر، أما إذا غصنا في عمق الأحداث سنجد أن هذا الاستدعاء لم يكن سوى فخ من طرف النقيب "فاش" . المسؤول عن الشرطة القضائية وشرطة التحقيقات الجنائية الفرنسية . للإيقاع بخصمه روبرت، نظرا لأن اسمه ترك موشوما في أرض الجريمة، فاتخذ النقيب من هذا الحادث دليلا للإيقاع به، خاصة بعد علمه بالاتفاق المسبق بين لانغدون وسونيير على لقائهما في اللوفر ليلة الجريمة: **" لقد كان من المفروض أن يقابل القيم الموقر جاك سونيير لاحتساء المشروبات وذلك بعد انتهائه من المحاضرة الليلة، لكن سونييرلم يأت" 5.**

التشفيرات، إذن، هي العامل المحرك لمسار الأحداث، ومنذ البداية يظهر أن الغموض خاصية ستلازم كل أحداث الرواية، لهذا كان من اللازم إحضار أخصائي له الخبرة والدراية على فك الألغاز والرموز. ولا غرو أن يستدعي دان براون رفيقه الدائم في كل رواياته السابقة "روبرت لانغدون" كعامل مساعد لفك التشبيكات والتعقيدات التي تحيط بمسار الحبكة، بنفس الشاكلة التي تعتمدها الروائية البريطانية أغاتا كريستي حينما تشرك بطلها المعهود: "المحقق بوارو" في معظم رواياتها البوليسية.

ج . ظهور العميلة صوفي نوفو، والهروب من ساحة الجريمة:

لم يكن ظهور العميلة نوفو صوفي . المختصة بقسم فك الشفرات في الشرطة الفرنسية . عبثيا واعتباطيا، بل كان بتدبير وتخطيط منها، بعد أن تعرفت على جثة القتيل والذي لم يكن سوى جدها جاك سونيير. هذا الأخير انقطعت صلته بحفيدته لمدة طويلة، فحاول ربط الاتصال بها في هذه الليلة المهمة من أجل إطلاعها على سر جوهري، لكن تعنتها

ورفضها الدائم لمقابلته حال دون لقائهما. **"لقد حدث بيننا شجار كبير أدى إلى قطع العلاقة بيننا منذ عشر سنوات....والليلة عندما تلقى قسم فك الرموز الاتصال الذي أفاد بمقتله ورأيت صور جثته والنص الذي كتبه على أرضية صالة العرض، عرفت عندئذ أنه كان يحاول أن يوصل إلي رسالة ما"6، "كان جاك سونيير..جدي"7.** وبعد أن تطلع على صور الجريمة والرموز الموشومة في الأرضية، ستدرك أن جدها كان يحاول إيصال رسالة غامضة لها بواسطة هذه الشفرات، وما ذِكْر اسم الخبير روبرت لانكدون في أرض الجريمة، إلا دعوة لها للاستعانة به كمساعد من أجل فك هذه الرموز.

وحينما تتيقن صوفي نوفو من براءة روبرت لانكدون . المتهم عن طريق الغلط في هذه الجريمة . تتدخل بكل ما تملك من حيلة وذكاء وخبرة لإنقاذ روبرت وإقناعه من أجل الهرب، بعد أن تفشي له بالنية السيئة للعميل فاش الذي استدرجه لمسرح الجريمة من أجل تصيد اعترافه بمسؤوليته في الجريمة." **قال فاش: يبدو أن هذا النص وكأنه اتهام ما ؟ ألا تظن ذلك ؟"8، "عندما يقتل شخص على يد شخص ما....أعتقد أنه سيفكر بشيء واحد فقط....بالانتقام، أنا أعتقد أن سونيير كتب هذه الملاحظة ليقول لنا من قتله"9، " قال لانكدون: ...لو كان سونيير يريد أن يخبركم من قتله، لكان قد كتب اسم شخص ما....ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي فاش للمرة الأولى في هذه الليلة، قال فاش: هذا صحيح تماما"10.**

سيدرك لانغدون حيلة العميل فاش للإيقاع به، بواسطة الرسالة الصوتية التي تنصت لها عن طريق رقم الهاتف المسلم من صوفي (بعدما أوهمت فاش بتلقي روبرت لرسالة صوتية من سفارته)، وسيلتجئ إلى مراحيض اللوفر، لربح الوقت وإلهاء الشرطة والتفكير في الورطة التي تعلق في شباكها ظلما وبطلانا. ثم ستلتحق به نوفو لإقناعه بالهروب **" دخلت صوفي نوفو والخوف ينطلق من عينيها الخضراوين: أحمد الله على مجيئك، هيا فليس لدينا وقت نضيعه"11**، بعدما كشفت له جهاز التنصت والمراقبة الذي وضعته الشرطة في جيب بدلته لتتبع كل مساراته وخطواته. **"أردت أن أحذرك، سيد لانكدون....بأنك تخضع لمراقبة خفية دون علمك...لأنك برأي فاش المتهم الرئيسي في هذه الجريمة...أدخل يدك في الجيب الأيسر لسترتك..وستجد الدليل على أنهم يراقبونك"12.** بعد ذلك يقتنع روبرت لانغدون بصواب فكرة العميلة الفرنسية، لتختلق

صوفي حيلة بارعة وذكية ستمكنهما من خداع الشرطة والهروب خارج اللوفر." **غير أن صوفي قررت و انتهى الأمر. روبرت لانغدون كان على وشك الفرار من اللوفر سواء فعل ذلك بإرادته أو رغما عنه"13، "قرر لانغدون ألا يتفوه بأي كلمة طوال المساء، فقد كانت صوفي نوفو بالتأكيد تتمتع بذكاء يفوق ذكاءه بمراحل"14.**

لقد مثلت العميلة نوفو البؤرة الأساسية التي تدور حولها شفرات الرواية، باعتبارها الطرف الأول الذي استهدفه جاك سونيير قبل موته من خلال التلميحات التي بصمت في الألغاز التي وضعها من جهة، ولكون نوفو هي حفيدته الصغيرة وأميرته العزيزة التي أراد إخبارها بسر من الأسرار المهمة من جهة أخرى. فمحاولاته السابقة .للقاء بها .كانت تنتهي دائما بالفشل نظرا لتوتر العلاقة بينهما، ليترك لها رسالة أخيرة قبل موته ويوجهها إلى الأستاذ الذي سيرشدها إلى هذا السر، وهذا ما فرض على صوفي توظيف ذهائها ومهارتها العقلية، لإخراج روبرت من ورطته، وتهريبه في مشهد روائي قريب من دراما الأفلام السينمائية، بعد أن احتالت على الشرطة وأبعدتها عن مكان الجريمة.

2 .الأحداث المجسدة لعملية البحث عن الكأس المقدسة:

أ .بنك زيوريخ للودائع:

قبل أن يفرا معا، صوفي ولانغدون، من مسرح الجريمة، تسمرا في مكانهما وهما يتأملان جثة جاك سونيير، وما أثار انتباههما في هذا المشهد هو الشكل الذي وجدت فيه الجثة، حيث وضع قيم اللوفر نفسه في دائرة ورسم على بطنه رمز النجمة الخماسية التي ترمز إلى " **فينوس . إلهة الجمال والحب الأنثوي"15.** هذه الوضعية الدائرية المحيطة بالجد، ذكرت روبرت بلوحة الفنان ليوناردو دافنشي الرجل الفيتروفي، كما أن الأرقام المرسومة في الأرض بدم القتيل ألمحت له بمتوالية فيبوناتشي: " **إن الترتيب العشوائي لمتوالية فيبوناتشي هو مفتاح لفك الشيفرة"16.**

وحينما سيتمكن لانغدون من إعادة ترتيب هذه المتوالية سيصل إلى الدليل الأول، وهو لوحة الموناليزا الموجودة في اللوفر، والتي ستكشف عن انتماء جاك سونيير لإحدى الجماعات الدينية الملقبة بأخوية سيون: " **الأخوية، هذا يثبت أن جدك كان عضوا فيها"17**. وهي جماعة حاولت إعادة الاعتبار للأنثى في التأريخ الديني المسيحي، من خلال إيمانها بأن المسيح عيسى تزوج بمريم المجدلية وأنجبا طفلة سميت بسارة، وبعد صلبه

هربت مريم وابنتها إلى فرنسا، فاستمرت سلالتها حاضرة إلى اليوم، حيث تتكلف هذه الأخوية بحمايتها.

والسر في أن سونيير وضع كل أسراره وشفراته حول لوحات دافنشي، تكمن في أن هذا الفنان كان واحدا من أعضاء الأخوية، خلد أفكارها وتوجهاتها في العديد من أعماله الفنية. فإذا كانت شيفرة الموناليزا قد كشفت مكان تواجد المفتاح السري: " **أدركت صوفي الآن أن الهدف الأساسي من لعبة الكلمات...كان هو الوصول إلى هذا المفتاح الذي كان جدها يحتفظ به عندما قتل....وبما أنه لم يكن يريد أن يقع تحت يد الشرطة قام بإخفائه خلف اللوحة"18**، فإن لوحة العشاء الأخير ستلمح لتوجه سونيير المنسجم مع أفكار الأخوية حول الأنثى المقدسة، حينما ستجسد . فنيا . حضورا أنثويا بجانب المسيح في مأدبة العشاء الأخير.

بعد أن تجد المفتاح السري، ستنطلق صوفي برفقة روبرت في رحلتهما للبحث عن وثائق الكأس المقدسة"**السانغريال"19**، وستدلهما الكلمات المشفرة التي رشمت على المفتاح إلى بناء حديث في شارع أكسو: " **بنك زيوريخ للودائع**"20.

تجري الأحداث في بنك زيوريخ بشكل تلغيزي مشابه لما وقع في متحف اللوفر، حيث سيحير البطلان في بحثهما عن السبب الذي دفع سونيير لاستقدامهما إلى هذا المكان. فرغم توفرهما على مفتاح الأخوية السري، إلا أن البنك يشتغل بنظام آلي مستند على الأرقام السرية في استخراج الودائع: " **يؤسفني أن أخبرك بأن كل مفتاح مرتبط إلكترونيا برقم حساب مؤلف من عشرة أرقام تعد كلمة السر التي تفتح الصندوق، وبدون هذا الرقم لا قيمة لمفتاحك على الإطلاق"21.** وهذا ما غاب عن الصديقين، ليتفرغا من جديد لحل أحجية أخرى تدلهما على الرقم السري لوديعتهما الثمينة.

وحينما تذكر روبرت لانكدون الشيفرة المكتوبة في أرض الجريمة، تيقن بأنها هي الرقم السري الذي وضعه سونيير قبل موته، وهذا الرقم كتب على شكل متوالية فيبوناتشي، ولكن بشكل عشوائي غير مرتب. فتدخلت صوفي بذكائها المعهود، لتعيد ترتيب الشيفرة على شاكلة المتوالية المشهورة وتنجح في فتح الخزنة: " **لقد تطلب الأمر لحظات كي يدرك لانكدون ما حدث ولكن حالما وقعت عيناه على الرقم عرف أن صوفي كانت على حق: متوالية فيبوناتشي: 1.1.2.3.5.8.13.21.....رمز سري عبقري من عشرة أعداد لا يمكن أن**

ينساه سونيير أبدا....مدت صوفي يدها وضغطت على زر الإدخال....حط الصندوق أمامهما مباشرة"22.

وبعد فتحهما الصندوق الذي يحمل رمز الأخوية (الوردة)، سيخيب ظنهما واعتقادهما بوجود الكأس المقدسة (التي شرب منها المسيح في ليلة العشاء الأخير) داخله، وسيتفجآن بأسطوانة مستديرة تحتاج هي الأخرى لكلمة سرية تفتحها: "**إنها تدعى كريبتيكس. وبحسب ما أخبرني به جدي فإن مخططات الكريبتكس أخذت من مذكرات دافنشي السرية...إنها خزينة (قالت صوفي)..لحفظ معلومات سرية"23.** فتزداد الأحداث تشويقا، وتتسع متاهة التلغيز والتشفير التي خطط لها سونيير بدقة، الشيء الذي تطلب معه الاستعانة بخبير آخر، يساعد البطلين على فك ألغاز هذه المتاهة التي تزداد غموضا وتعقيدا كلما كان الاقتراب وشيكا من السر.

ب. مساعدة لاي تيبينغ:

بعد هروبهما من بنك زيوريخ ونجاتهما من مطاردة الشرطة، من جديد، بتدخل ومساعدة من أندريه فيرنيه (مدير البنك)، وبعد إفلاتهما من فخ هذا الأخير الذي حاول الاستيلاء على الأسطوانة (دليل الكأس المقدسة) بالقوة، قرر الرفيقان الالتجاء إلى خبير ديني بريطاني يهتم في أبحاثه بقضية الكأس المقدسة، ليساعدهما على فتح الأسطوانة التي تحمل خريطة هذا الكنز الديني: **" لدي خطة، هناك مؤرخ ديني أعرفه يسكن بالقرب من فرساي...اسمه لاي تيبينغ وهو مؤرخ ملكي بريطاني سابق...إن الغريل هو ولع حياته الأزلي"24.**

سيدخل الأطراف الثلاثة في مسار الاختبار الذي ينتظرهم، ليشتغل الفكر وينار العقل ويتقد النظر، رغبة في الوصول إلى سر الغريل. فيتطرق كل واحد منهم إلى وجهة نظره حول سر الكربتيكس، وعلاقته بأخوية سوين التي حاولت إخفاء هذه الوثائق الثمينة، بعد استحضار مجموعة من الأحداث التاريخية التي مرت منها هذه الوثائق، بداية من قصة الامبراطور قسطنطين الذي رسخ المسيحية كدين رسمي للامبراطورية الرومانية في مجمع نيقية ثم أمر بالتصويت على فكرة ألوهية المسيح **" هذا صحيح، قال تيبينغ، ففكرة (ابن الرب) كانت قد اقترحت رسميا وتم التصويت عليها من قبل المجلس النيقاوي"**25. مرورا بقصة فرسان الهيكل والتي يحكى أن هدفها العلني هو: "حراسة مدينة القدس، والأماكن

المقدسة...وطريق الحجاج الأوربيين"26، بينما هدفها الخفي والسري هو: "حماية ملوك فرنسا الميروفنجيين، الذين حكموا فرنسا بين القرنين الخامس والسابع الميلادي، والذين يعتقد أنهم يحملون بين ظهرانيهم سلالة السيد المسيح"27. ثم أخيرا مناقشة وثائق البحر الميت ومخطوطات واحة حمادي، والتي **" تحدثت عن كهنوت المسيح بمصطلحات إنسانية تماما بالإضافة إلى أنها روت قصة الكريل الحقيقية"28**. وقد عدت هذه الوثائق كتابات هرطقية وكافرة(29) من طرف الفاتيكان، لأنها "اتهمت الكنيسة الكاثوليكية بإخفاء أسرار مهمة"30.

تطرق الثلاثة، أيضا، لقضية مهمة في الرواية تجلت في تحديد ماهية الكأس المقدسة، وهل هي فعلا شيء مادي من مخلفات العشاء الأخير للمسيح؟ أم هي شيء آخر؟ الجواب نستشفه من خلال المقاطع التالية: **" فالكأس المقدسة ليست شيئا ماديا، بل هي في الحقيقة ...شخص محدد"31، " أومأ لانكدون، في الحقيقة، إنها امرأة" 32، " الشاليس أو الكأس يشبه القدح أو الإناء والأهم من ذلك أنه يشبه رحم المرأة حيث يمثل هذا الرمز الأنوثة والخصوبة"33.**

إن السر الذي أسند حله لكل من صوفي ولانغدون هو سر ديني مرتبط بالبحث عن الوثائق الخاصة بامرأة وسلالتها العائلية، وهذه المرأة هي مريم المجدلية التي تزوجها المسيح وخلف منها بنتا تركت هي الأخرى شجرة عائلية امتدت إلى ملوك الميروفنجيين في فرنسا ولازالت فروعها حية إلى الآن. ومن هنا يتضح أن المسؤولية التي كلف به أعضاء أخوية سيون، هي مسؤولية متداخلة المهام والوظائف، **"وهي مسؤولية ذات ثلاثة شقوق. فهي يجب أن تقوم بحماية وثائق السنغريال، كما كما أن عليها حماية قبر مريم المجدلية، وأخيرا فهي يجب أن ترعى وتحرس سلالة المسيح، أفراد العائلة القلائل الباقين"34**، وهذا ما عرضها لمعارضة قوية وتهديد دائم من طرف الفاتيكان والكنيسة الكاتوليكية التي تحدت مبادئ الأخوية وأفكارها الدينية.

هكذا سينجح الثلاثة في حل الأحجية التي تركها لهم سونيير بعد جهد جهيد في التفكير والتحليل والبحث، وبعد انتباههم لكلمات القصيدة التي خطت على غطاء الكريبتيكس **"في لندن...يرقد فارس دفنه أحد البابوات"**35، والتي ستقودهم إلى مرافقة تيبينغ إلى بريطانيا طالما أنها تشير إلى مكان تواجد الشيفرة التي تفتح الكريبتيكس: **" لكن**

لانغدون لم يكن بحاجة ليستمر في القراءة إلى ما بعد السطر الأول ليدرك أن خطة تيبينغ للذهاب إلى بريطانيا كانت في محلها"36. وبطبيعة الحال فإن سلسلة الأحاجي والألغاز ستستمر في بوثقة أحداث الرواية، ليحيل كل لغز ثم حله إلى لغز آخر مشفر يحتاج لحل جديد.

ج.كنيسة الهيكل:

بعد عملية مطاردة بوليسية نسقت بين الشرطة الفرنسية والبريطانية، وبعد عملية هروب دراماتيكية على شاكلة الأفلام السينمائية (وهذا ما يؤكد المنحى السينمائي للرواية) قام بها الباحثون الثلاثة على متن طائرة خاصة بلاي تيبينغ في اتجاه بريطانيا. كان هدفهم التالي هو فك اللغز المحير في كلمات الكريبتيكس، والتخمين في السبيل الذي يقودهم إلى " **المكان الذي...قد يعثرون فيه على (ضريح الفارس) والذي سيجدون فيه الكلمة السرية التي ستفتح الكريبتيكس الصغير بحسب كلمات القصيدة"37.** فصوب الجميع وجهتهم نحو كنيسة الهيكل، خاصة وأن القصيدة لمحت لضريح الفارس الذي قتله البابا في قصيدتها الموشومة في الأسطوانة: **" كنيسة الهيكل ؟ أخذ لانغدون نفسا طويلا وقد أصابته الدهشة. هل يوجد فيها ضريح؟ أكثر عشرة قبور إثارة للرعب ستراها في حياتك"38.**

أثناء تجولهم في أنحاء الكنيسة المعتمة بحثا عن إرشادات مساعدة، سيباغتون بهجوم مفاجئ من طرف الراهب سيلاس الذي كان يتبع خطاهم، رغبة في الاستيلاء على الكريبتيكس ومعرفة سر الكأس المقدسة. حيث سينقض على صوفي بمسدسه، مهددا بقتلها في حالة عدم الحصول على هذه الأسطوانة الثمينة. " **تسلل سيلاس كشبح خلف هدفه ، إلا أن صوفي نوفو شعرت بوجوده بعد فوات الأوان....ضغط سيلاس فوهة المسدس على عمودها الفقري ولف ذراعه القوية بعنف على صدرها وشدها إلى الخلف"**39.

وستزداد الأحداث تشويقا بعد تدخل ريمي، خادم لاي تيبينغ وسائقه الخاص، حينما سيصدم الجميع بتدخله المضاد المساند لعملية سيلاس، ثم سيهدد بقتل سيده لاي في حالة عدم تسليم الكنز (الكريبتيكس)." **مشى ريمي الذي قرر أن يكشف نفسه، نحو الغرفة المستديرة، وعندما دخل صوب مسدسه إلى رأس تيبينغ مباشرة"**40. ليخضع روبرت

لانغدون في الأخير لتهديدات الخصمين ويسلمهما مرشده النفيس. فقد كان متيقنا من عدم قدرتهما على فك شفراته، بالرغم من اختطافهما للعجوز تيبينغ.

د. جامعة الملك البريطانية:

سيقصد لانغدون، وصديقته صوفي، هذا المكان، رغبة في فك سلسلة الغموض التي أحاطت بقصيدة الكريبتيكس قبل تمكن الأعداء من الوصول إلى حل ألغازها (ريمي وسيلاس). لهذا سيقومان بعملية بحث عميقة في الحاسوب المخصص لهذه العملية في مكتبة الجامعة، إلى أن يحصلا على نتائج ناجعة ستكشف لهما أن ضريح الفارس المقصود في القصيدة، هو ضريح العالم إسحاق نيوتن الذي كان عضوا بارزا في جمعية سيون، بينما كلمة البابا، في النص، عني بها صديقه في العمل ألكسندر بابا. **" مراسم دفن السير إسحاق نيوتن، حضرها الملوك والنبلاء وترأسها صديقه وزميله في العمل ألكسندر بابا"41.**

3. الأحداث المظللة والمعيقة في عملية البحث عن الكأس المقدسة:

أ. تعقب سيلاس:

سيشكل سيلاس - منذ الفصل الأول من الرواية - الحلقة المهددة والمعيقة في مسار الأحداث، كونه موجه ومأمور من طرف الجهات العليا في جمعية أوبوس داي، لغاية وهدف أساسي يتجلى في إعاقة كشف الحقيقة ومنع إفشاء السر.

وجمعية أوبوس داي " هي جمعية كاثوليكية، تعمل تحت نطاق سلطة الكنيسة، أسسها راهب إسباني اسمه جوزيف ماريا أسكريفا دو بالاغر"42، تمتاز بتوغلها المؤثر في الفاتيكان، وبنفوذها الكبير في العالم المسيحي الكاثوليكي، كونها تضخ الملايين من الأموال في صندوق الكنيسة. وبما أنها جمعية سرية كاثوليكية، فقد كان هدفها الأساسي في الرواية هو إخفاء معالم السر المقدس الذي تحمله أخوية سيون، حتى لا تتعرض سمعة الفاتيكان إلى التراجع والاندحار. باعتبار أن رجال الدين الكاثوليك لعبوا دورا فعالا في تعتيم الرأي وتظليل الأفكار، وإخفاء معلومات لاهوتية خطيرة.

ولهذا سيجاهد سيلاس، بكل ما أوتي من قوة وإيمان، في سبيل إخفاء هذا المعلم الروحي (الكأس المقدسة) الذي ينشر الهرطقة والظلالة والكفر(حسب رأيه). وسيلجأ في ذلك إلى ارتكاب مجموعة من الجرائم، مفتتحا إياها في مستهل الرواية بقتل قيم اللوفر جاك

سونيير بعد أن أطلعه على دليل مزيف ورفض إخباره بالمكان الحقيقي للسر المقدس:" **سحب الأبرص من معطفه مسدسا ووجه أسطوانته عبر القضبان مباشرة نحو القيم....دوى صوت المسدس وأحس القيم بحرارة لافحة من الرصاصة التي استقرت في معدته"43.**

ثم سينتقل بعد ذلك إلى كنيسة سان سوليبس بحثا عن الدليل الذي سيوصله إلى مكان الكنز الروحي، ولكن بدون جدوى فيلجأ أيضا إلى القتل (قتل الراهبة ساندرين بيل) بسبب حصوله على معلومات غير صحيحة، ساهمت في تبخر حلمه بإيجاد ما يستهدفه ويبتغيه: " **"لقد ترك المسيح رسالة حقيقية واحدة فقط"، قالت الأخت ساندرين بتحد " ولا يمكنني أن أرى تلك الرسالة تتحقق في أوبوس داي". فانفجر الغضب مشتعلا في عيني الراهب. و اندفع بقوة نحو الأمام وراح يضرب الراهبة بالشمعدان بعنف.."44.**

يتخذ مسار سيلاس طريقا آخر، حينما يتلقى توجيهات جديدة من المعلم تدله على مكان السر. ليتحرك من جديد ويحاصر أبطال الرواية في كنيسة الهيكل (في مشهد شبيه بتشويق السينما)، ثم يهددهم بالقتل إذا هم لم يسلموه دليل السر. وبالفعل ينجح في الحصول على المفتاح (الكريبتيكس) ويسلمه لمعلمه، ثم يغادر بعيدا عن الأحداث ليستقر بأحد فنادق لندن بعد أن أدى مهمته بنجاح.

لكنه سرعان ما سيباغت بهجوم غير معلوم من الشرطة البريطانية المحاصرة للفندق. وبعد تبادل مثير لإطلاق النار، ستصيب إحدى رصاصاته، بالخطأ، القس أرينغاروزا: مرشده الروحي ومنقذه الأول. ثم سيصاب هو أيضا بطلقات نارية في هذه المعركة الشرسة، لكنه سيقاوم ويجاهد رغبة في إسعاف ملهمه الروحي، حيث سيحمله وينقله بصعوبة إلى المستشفى.

وبالفعل سينجح سيلاس في إسعاف أستاذه وينقذه من الموت، وفي مقابل ذلك ستخر قواه ويستسلم للاحتضار الذي حاصر روحه، في مشهد دراماتيكي حزين، سينتهي بوفاة الراهب:" **ارتسمت على وجه القس أرينغاروزا ابتسامة ضعيفة...فقد كانت الليلة الماضية أسوء ليلة في حياته. لم يستطع أن يقاوم الحزن الشديد الذي أثاره تفكيره بسيلاس الذي عثر على جثته في الحديقة"45.**

ب. توجيهات القس أرينغاروزا

مثل القس ارينغاروزا، أحد الرموز الدينية التي لعبت دورا عكسيا في عملية البحث، باعتباره الرأس المخطط في جمعية أوبوس داي الكاثوليكية. وكما قلنا سابقا، حاولت هذه الجماعة الحد من انتشار السر المقدس بين عناصر الأخوية (سيون)، فقام ارينغاروزا بتدبير مخططاته رفقة صديقه المعلم، وكلف خادمه الوفي سيلاس بتنفيذها، بغية إيجاد الكنز الديني ومنع انتشار السر اللاهوتي، نظرا لما يشكله هذا السر من خطر على مستقبل الكنيسة الكاثوليكية ." **وبحماس رد الأسقف على الهاتف هامسا، نعم؟. " لقد عرف سيلاس مكان حجر العقد"، قال المتصل....ابتسم الأسقف أرينغاروزا، " إذن اقتربنا"..."46.**

وكان تواصل ارينغاروزا مع المعلم يتم عن بعد بواسطة الهاتف، من خلال مجموعة من التوجيهات والتعليمات التي يقدمها له من أجل إتمام مهمته بنجاح، مع نصحه الدائم لتلميذه سيلاس. منفذ المخططات. بتجنب قتل الروح التي تغضب الرب: **" كانت تلك جريمة غضب، جريمة متهورة...ماذا سيفكر الأب عندما يعلم بمقتل الراهبة"47.**كما ارتبط ارينغاروزا بعلاقات متعددة مع الفاتيكان، وهذا ما برر أسفاره المتتالية إلى هناك قصد حشد الدعم المالي والديني للجمعية.

سيكتشف القس بعد ذلك بأنه كان ضحية لعبة قذرة وخداع ماكر واستغلال حقير من طرف المعلم، حينما سيكتشف قناعه الماكر، ويعلم بأنه هو العقل المدبر لكل هذه المصائب والجرائم: **"وعندما لم يتمكن القس من الاتصال بالمعلم، أدرك أنه قد تعرض لخدعة ذنيئة. لقد استغله المعلم"48.**

وتختتم سلسلة الوقائع بحادث أصاب القس ارينغاروزا، عقب تعرضه لرصاصة نارية من طرف تلميذه سيلاس عن طريق الخطأ. فينقل إلى المستشفى (بمساعدة من الراهب) وهو متوجع من الآلام والجروح التي خلفتها الرصاصة.**" كان القس أرينغاروزا غائبا عن الوعي عندما فتحت أبواب مستشفى سانت ميري ودخل سيلاس مترنحا يهذي من شدة الألم....ويحمل على ذراعيه قسا مضرجا بالدماء**"49. ليتمكن في النهاية من النجاة بأعجوبة بعد تدخل جراحي ناجح ساهم في إنقاذه: **" "لقد أبهرتنا جميعا"، قالت الممرضة وهي تنظر إليه بابتسامة مشرقة. "فقد كانت نجاتك معجزة حقيقية""50.**

ج. خداع ريمي:

تقمص ريمي دورا مزدوجا في أحداث الرواية، كونه كان أحد الأطراف المساعدة في فرار أبطال الرواية إلى بريطانيا، باعتباره الخادم الخاص للسير لاي تيبينغ وسائقه الشخصي الذي سينقل الجميع إلى لندن، في عملية هروب ماهرة من مطاردة الشرطة. وفي الأحداث الختامية للرواية ستنكشف حيلة ريمي ويفضح مكره الخادع، لأنه سيكون طرفا أساسيا في الهجوم والتهديد الذي قام به سيلاس ضد أبطال الرواية في كنيسة الهيكل. حيث سيتدخل ريمي، شخصيا، محاصرا سيده تيبينغ بمسدس، ومرغما روبرت لانغدون على تسليم الحجر المفتاح: **"مشى ريمي الذي قرر أن يكشف نفسه، نحو الغرفة المستديرة وعندما دخل، صوب مسدسه إلى رأس تيبينغ مباشرة"51، " "أعط الحجر المفتاح لسيلاس". مد لانغدون يده على مضض. فتقدم سيلاس خطوة وأخذه منه.."52.**

لكن هذا التدخل المفاجئ سيجني عليه آثارا عكسية، بعد أن كان قريبا من فضح الخطة التي رتبها المعلم بعناية وذهاء. وبهذا فإن المال الذي كان ينتظره ريمي من معلمه، مكافأة على دوره في العملية، سيتحول إلى موت وقتل عقابا له على إفساد معالم الخطة، وظهوره غير المحسوب في ساحة الأحداث (كنيسة الهيكل): **"يجب أن أصفي حسابي مع ريمي الذي عصى أوامري وارتكب خطأ فادحا عرض مهمتنا بأكملها لخطر جسيم"53، "انتفخ حلق ريمي فجأة فأحس به كهزة أرضية...إنني أموت...إنني أقتل"54.**

د. بيزو فاش ومطاردة الشرطة:

هيمنت السمة البوليسية، بكل تلاوينها وتجلياتها، على معظم أحداث الرواية، ولا شك أن هذه السمة شكلت أحد الحواجز التي ضيقت على الأبطال طريق البحث عن الكنز المفقود. فمنذ الوهلة الأولى من مقتل سونيير والشرطة متعقبة لأبطال الرواية، متهمة إياهم بارتكاب الجريمة (لانكدون) ومساعدة المذنبين فيها (صوفي نوفو).

وكان النقيب بيزو فاش متشبثا بفكرة القبض على الهاربين، متيقنا من إثمهما ومشاركتهما في التخطيط للقتل. وهذا ما جعله يشدد الرقابة عليهما، ويسخر كل قواته لملاحقتهما ومطاردتهما. لكن كل محاولاته كانت تنتهي بالفشل، فكلما اقترب منهما إلا ونجحا في الفرار والهرب، بفعل ذكائهما من جهة (الهروب من اللوفر)، وبفعل مساعدة بعض الأصدقاء من جهة أخرى (مساعدة تيبينغ في الهروب إلى إنجلترا).

لقد شكل بيزو فاش عاملا معيقا ومؤخرا لعملية العثور على الحقائق والأسرار والدلائل المشفرة، خاصة مع تعقباته المبالغ فيها، وشكوكه الزائدة. لهذا كان الهرب هو السبيل الوحيد أمام أبطال الرواية لمواصلة السير، ومتابعة الخطى نحو الهدف الأسمى: الكأس المقدسة. ورغم ملاحقاتهما إلى إنجلترا إلا أن البطلين سيتمكنان من العثور على مبتغاهما، وسينجحان في التعرف على سر الكلمات المشفرة التي وضعها سونيير قبل موته. ليتأخر تدخل فاش وشرطته إلى نهاية الرواية بعد أن تكشف الدلائل النقاب عن العقل المدبر لكل الأفعال الإجرامية السابقة: **" اقتحم بيزو فاش القاعة كثور إلى حلبة المصارعة وأخذ يمسح بعينيه الوحشيتين بحثا عن هدفه.....دخلت الشرطة البريطانية على أعقاب فاش واعتقلت السجين المهتاج ثم كبلته بالأصفاد"55.**

4. الأحداث الختامية في عملية البحث:

أ. كنيسة وستمنستر:

وهي الكنيسة التي ستكون مرتع كشف الحقائق وإجلاء الغموض الذي طال الأحداث . منذ بدايتها . في هذه الليلة الظلماء المسودة بأحداثها والحالكة في أسرارها. وقد أشرنا في الأحداث التي سبقت هذا الفصل أن تعاون سيلاس وريمي مكنهما من الحصول على الحجر المفتاح واحتجاز السير تيبينغ كرهينة، وهذا ما دفع الثنائي (صوفي ولانغدون) للبحث عن وسيلة تمكنهما من استرجاع هذا الكنز الثمين، خاصة وأن السارقين لن يستطيعا حل شفراته إلا بالاستعانة بهما. فالتجأ الرفيقان إلى جامعة الملك البريطانية ليبحثا عن دلالة القصيدة المكتوبة على الحجر المفتاح (الكريبتيكس)، وعقب بحث عميق في الفهرست الإلكتروني للمكتبة، سينجحان في تحديد القصد من قبر الفارس العظيم، وهو قبر العالم الكبير إسحاق نيوتن (الذي كان عضوا من أعضاء جمعية سيون)الموجود في كنيسة وستمنستر.

اتجه الصديقان إلى المكان المعلوم (قبر نيوتن)، وهما متيقنان من عودة سيلاس ورفيقه إلى هذه الكنيسة للحصول على الوثائق، وإذ بهول الصدمة تصفعهما حينما سيعلمان بأن السير لاي تيبينغ هو العقل المخطط لكل هذه الأحداث المثيرة التي وقعت في هذه الليلة. فحينما اقترب لانغدون من قبر نيوتن، لاحظ عبارة على القبر، فيها طلب باللقاء والتفاوض لاسترجاع الحجر المفتاح. ليتفاجأ، بعد ذلك، بحضور تيبينغ في المكان وهو يحمل

مسدسا مصوبا نحوهما: **" بدا الرجل الذي كان و اقفا بالباب هادئا وهو يصوب مسدسا صغيرا نحوهما...للحظات اعتقد لانغدون أنه كان يحلم. كان ذلك الرجل...لاي تيبينغ"56،"عندما نظر إلى صوفي ولانغدون، رأى صدمة وشعورا بشعا بالخيانة يرتسم على وجهيهما"57.**

وكشف هذا الأخير قناعه الحقيقي، بعد أن اعترف أمامهما بأنه هو المعلم الذي كان يسير الأمور ويخطط لكل عمليات السرقة والتعقب والقتل. وسيخبرهما، كذلك، بأنه حاول إبعادهما عن خط اللعبة، لكن القدر وإصرارهما الحثيث على استعادة الكأس جمعهم مرة أخرى في هذه الكنيسة: "**فلم يكن في نيتي أن أورطكما أبدا، أنتما جئتماني إلى البيت"58.** أما قتله لجاك سونيير فكان دافعه هو الرغبة في إظهار الحقيقة وفضح الكنيسة وكشف حقيقة الأتئ المقدسة، عقب فشل الرجل الأول في أخوية سيون في هذه المهمة، بفعل ضغط رجال الفاتيكان ومنظمة الأوبوس داي: **" لقد عرفت لماذا لم تكشف وثائق السانغريال للعالم. وعرفت أن الأخوية في النهاية قد قررت عدم إزاحة الستار عن الحقيقة أبد"59.**

بعد ذلك، سيسلم المعلم (تيبينغ) الحجر المفتاح لروبرت لانغدون، مهددا إياه بمسدس، من أجل وضع الرموز المناسبة لفتحه. لكن لانغدون سيبتكر طريقة ذكية للتخلص من هذه الورطة، حيث سيقوم برمي الكريبتيكس إلى الأعلى لتشتيت انتباه المعلم: **" وبحركة خاطفة، وثب لانغدون إلى الأعلى ملوحا ذراعه نحو الأعلى وقذف بالكريبتكس بقوة إلى الأعلى نحو القبة...وقد حاول نصف دماغ تيبينغ الذي كان يشتغل حنقا أن يصوب مسدسه من جديد إلى لانغدون، إلا أن النصف الأقوى منه جر عينيه غصبا عنه إلى الأعلى نحو القبة"60.**

ثم سيسقط الحجر المفتاح مكسورا في الأرض، رغم محاولة تيبينغ إنقاذ الوضع. ليكتشف الجميع في النهاية أن العبقري لانكدون، سبق الجميع في الحصول على كلمة السر التي تفتح الكريبتس (التفاحة): **"نظر تيبينغ من جديد إلى الحجر المفتاح بذهول، فلاحظ أن الأقراص لم تكن أحرفها عشوائية بل كانت مرتبة لتشكل كلمة "تفاحة""61،** وتحصل على الوثائق المهمة منه قبل سرقته من طرف ريمي. وتنتهي سلسلة الأحداث

باقتحام الشرطة البريطانية بمعية النقيب فاش إلى ساحة الكنيسة، واعتقالها لتيبينغ عقب كشف الدلائل والقرائن التي تورطه في كل الجرائم السابقة.

ب. كنيسة روسلين:

كشفت الوثيقة التي تحصل عليها لانغدون، من قلب الحجر المفتاح، أن السر المقدس يوجد في كنيسة روسلين بإدنبرة (اسكتلندا): **" الكأس المقدسة تحت روزلين القديمة تنتظر"62.** فاتجه رفقة صوفي إلى المكان المشار إليه، وحين وصولهما إلى الكنيسة سيصدمان بحجم الحقائق التي ستصادفهما هناك. حيث بدأت الصور تمر في ذهن صوفي وهي تتفقد مواقع الكنيسة التي تُذَكِّرها بلحظات الطفولة مع جدها جاك. لتكتشف بأن هذه الكنيسة هي مأوى جدتها (قيمة الكنيسة) وأخيها (دليل الكنيسة)، وأنهما لازالا على قيد الحياة، خلافا للرواية التي اختلقها جدها في السابق لحمايتها من أعين المراقبين.

ثم تنسال الحقائق تباعا بعد أن ينجلي الغموض وتتضح الصورة، فتدرك صوفي أنها تنتمي إلى شجرة الميروفونجيين، سلالة المسيح: **" والغريب في الأمر أن الاثنين كانا من عائلتين ميروفينجيتين، اللتين تنحدران مباشرة من سلالة مريم المجدلية ويسوع المسيح. وكان أبوا صوفي وأجدادهما قد غيرا اسم عائلتيهما من بلانتار وسانت كلير إلى اسمين آخرين وذلك خوفا على حياتهم. وكان أولادهم يمثلون السلالة الملكية ...لذا فقد كانت تؤمن لهم حماية فائقة من قبل الأخوية"63**. وأن حادث موت أبويها كان مدبرا من طرف جهات عليا، سعت من خلاله للقضاء على هذه السلالة المقدسة. فاضطر معها جاك سونيير إلى تدبير خطة يحمي بها أحفاده، فاختار الحل الأصعب الذي ألزمه فراق زوجته وحفيده. فبينما اختفت الجدة والحفيد عن الأنظار بذريعة موتهما في حادث الأبوين، اضطر جاك وحفيدته للسفر إلى باريس، نظرا لأن سمعة الجد المشهورة ومكانته المعروفة لا ينفع معها اختفاء أو اختباء.

لتنتهي أحداث الرواية باستنتاج روبرت لانغدون بأن الكأس المقدسة، هي فكرة ستظل حاضرة في كل مكان وزمان، كونها ترمز لاتحاد الذكر بالأنثى على غرار النجمة السداسية (نجمة داوود) التي لمحها في مدخل الكنيسة، والتي توحي باتحاد السيف (المثلث الرأسي الدال على الرجل)، والقدح (المثلث المعكوس الدال على الأنثى): **" السيف والقدح. وقد اندمجا ببعضهما. نجمة داوود...الاتحاد الكامل بين الذكر والأنثى"64.**

يقرر روبرت لانغدون في النهاية العودة إلى باريس واستكمال أعماله ومحاضراته، لتأتي لحظة الفراق مع رفيقته صوفي نوفو، لكنه يعدها بلقاء قريب بينهما، ولكن في مكان ترفيهي ورومانسي، يترجم هذا التقارب الصامت ويجلي هذا الإنجذاب التلقائي الذي نشأ بينهما في هذا اليوم المشوق: **" ليس هناك ما هو أحب إلي من أن ألقاك في فلورنسا، روبرت. لكن على شرط...لا متاحف ولا كنائس ولا أضرحة ولا فن ولا آثار....اقتربت صوفي منه وقبلته ثانية، لكن هذه المرة على شفتيه، عندئذ اقتربا من بعضهما أكثر وتعانقا. وعندما ابتعدت عنه، كانت عيناها تلمعان بأمل جديد. "حسنا"، قال لانغدون بصعوبة."موعدنا هناك""65.**

وعموما فقد جاءت أحداث الرواية كثيفة ومتشعبة، في قالب بوليسي . تشويقي، تدور أحداثها حول قضية محورية تتلخص في فكرة: البحث عن الكأس المقدسة. وقد اخترنا . في بحثنا هذا . انتقاء اللحظات الرئيسية من أحداث الرواية، من خلال التركيز على الوقائع الممهدة لعملية البحث، ثم الأحداث المحركة لهذه العملية، فالوقائع المعاكسة المعيقة لهذا المسار، وأخيرا الأحداث الختامية التي أظهرت حقيقة هذه الكأس.

وانتقاءنا هذا ينسجم، كذلك، مع طبيعة التوجه الذي انطلقنا منه، والذي يستهدف الإحاطة بعناصر التماثل الأسلوبي والفني بين رواية دان براون والفن السينمائي، بغض النظر عن الحقائق أو المعلومات التاريخية والدينية التي تحملها الرواية. ولهذا اخترنا تنظيم مجال الأحداث في إطار ضيق، محصور في ميدان تخصصنا وتوجهنا (الدراسة الفنية)، دون الاهتمام بأصولها أو أسرارها أو مصداقيتها أو أبعادها الإيديولوجية والدينية، كون هذه المعطيات تهم أبحاثا أخرى ودراسات أخرى تستلهم طرقا ومناهج مغايرة في البحث والتحليل.

وقبل أن نغلق باب الحديث في هذا المبحث، يمكن أن نعيد تلخيص المسار الدينامي للأحداث في رواية "شيفرة دافنشي" من خلال الترسيمة التالية:

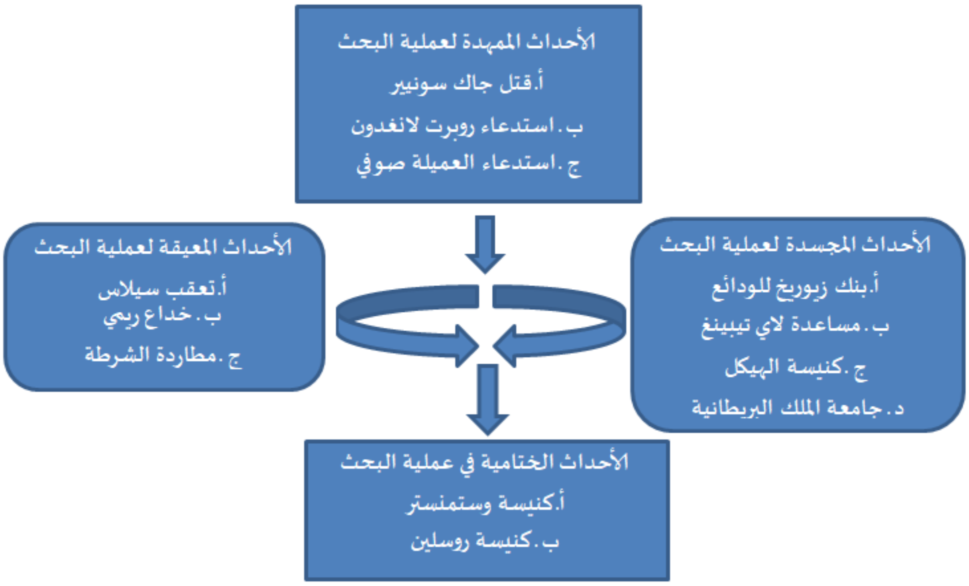

ثانيا.بلاغة السمات الروائية في "شيفرة دافنشي":

السمة في اللغة: "ضرب من العلامات المخصوصة وهو ما يكون بالنار في جسد حيوان مثل سمات الإبل وما يجري مجراها وفي القرآن <سنسمه على الخرطوم>، وأصلها التأثير في الشيء.."66. أما في الاصطلاح فهي علامات أدبية تؤدي وظيفة بلاغية في عمق النصوص الأدبية، "وعلاقة البلاغة بالسمة شبيهة بالغلاقة التي يحتمل أن تقوم بين اللغة والكلام. فالسمات إلى جانب الكون الأدبي والمكونات والسمات التكوينية والصورة تشكل تجليات فعلية للأسلوب الحيوي الذي نستقرئ "بلاغته....فالسمات الأدبية على الرغم من طبيعتها الجمالية التطبيقية لا تكتفي بتحقيق غايات التواصل والإخبار والتداول فحسب، وإنما تضيف إلى ذلك طموحها إلى تصوير النوازع الدفينة في النفس البشرية التي تمتنع عن التقييد والضبط الحصري"67.

والسمة من المفاهيم الأساسية التي تناولها رواد البحث في الصورة السردية والصورة الروائية بصفة خاصة، باعتبارها "إمكانية بلاغية...لا تقل خطورة جمالية عن مكونات العمل الأدبي المحكم الصنعة"68، وباعتبارها عناصر "قد تحضر أو تغيب في النص الأدبي، مثل: سمة الواقعية، أو سمة العجائبية، أو سمة الخرافة، أو سمة التوتر، أو سمة

الدينامية.."69. وقد حدد الدكتور محمد أنقار مجموعة من الخصائص التي تميز السمة في الأدب:70

. إمكانية بلاغية لا تخضع دائما لضوابط البلاغة وحدودها الصارمة، وتتجلى علاقتها بالبلاغة فيما تملكه من قيمة تعبيرية متعالية تفرزها سياقات غير مألوفة في النظر البلاغي.

. تتساند السمات مع المكونات النوعية....ووظيفتها الأساس هي الوظيفة الجمالية.

. السمة موضع ينصهر فيه الشكل بالمحتوى.

. السمة الأدبية متعددة المصادر (أسماء المذاهب الفنية والمدارس الفكرية وأنماط السلوك البشري وميدان الأخلاق والطبائع والأمزجة...).

. تكون السمة في اللفظ المفرد كما تكون في الجملة والفقرة.

إذن، فالسمة هي خاصية ملازمة لكل النصوص الأدبية بما فيها النصوص الروائية، تبتعد عن المعايير البلاغية الكلاسيكية وتنفتح على آفاق العمل الأدبي في شموليته، باتساق وتناغم مع سياقاته الإبداعية المتعددة. والسمات من هذا المنظور هي صيغ تفتقد لتنظير وتقعيد بلاغي مسبق، و تستمد وجودها "من طبيعة النصوص التي تنظر فيها، ومن خصوصية الأنواع التي تنتمي إليها " 71. فكل عمل أدبي يتميز عن الآخر بخصائصه التكوينية والفنية والجمالية والموضوعاتية، وكل كاتب يختلف عن الآخر بخصائصه الأسلوبية والإبداعية، ومن هنا فإن السمات الأدبية هي عناصر تتميز بتنوعها ونسبيتها وقابليتها للحضور والغياب، على عكس المكونات الرئيسية التي تتصف بالثبات والحضور.

والسمات الروائية عديدة ومتنوعة، تخضع لطبيعة الجنس الأدبي وسياق الموضوع المتناول، ومن أمثلتها: سمة العجائبية . سمة التصوف . سمة الواقعية . سمة الرومانسية....الخ. وتحفل روايتنا المدروسة "شيفرة دافنشي" بمجموعة من السمات الروائية المستمدة من طبيعة الموضوع وسياقه العام أبرزها:

1. السمة البوليسية:

يهيمن هذا الملمح كثيرا على الرواية، من بداية الأحداث إلى نهايتها، ومعالم الرواية البوليسية حاضرة بشكل واضح في الأحداث من خلال حضور أقانيمها الأساسية: الجريمة . الهروب . المطاردة . البحث ....فمنذ البداية تنسال الأحداث من بؤرة الجريمة بمتحف اللوفر،

حيث كان القيم جاك سونيير يترنح في جروحه وآلامه وهو ساقط على الأرض، جراء رصاصة مصوبة من مسدس شخص مجهول. وهذا ما استلزم حضور الشرطة باعتبارها طرفا أساسيا في الرواية البوليسية، لتبدأ دوامة البحث والدليل والبرهان في التكون، وتنسج خيوط الاشتباه والظن والاتهام والتبرئة. يطال الشك في البداية المشتبه روبرت لانغدون الذي وجد اسمه مكتوبا في الأرض بدم الضحية، فيظن النقيب فاش بأن سونيير كتب اسم قاتله قبل تسليم الروح، بل يزداد إصرارا على مسؤولية روبرت لانغدون في الجريمة، خاصة بعد هروبه المدبر من طرف رفيقته صوفي نوفو، خبيرة الكتابة الرمزية في الشرطة الفرنسية.

وقد كان للهروب، أيضا، دوره البارز في صياغة الحبكة البوليسية للرواية، فروبرت لانغدون وأمام حصار الاتهامات الذي انهال عليه لم يجد من طريق سوى اتباع تعليمات صوفي نوفو حفيدة الضحية، والتي بالرغم من عملها في سلك الشرطة الفرنسية إلا أنها آمنت ببراءة روبرت، وتيقنت بأن رسالة جدها في الأرض كانت مقصودة لغاية سرية رغب في الإفصاح عنها. وكتابة اسم لانغدون في مسرح الجريمة كان بداعي الاستعانة به، لفك طلاسم هذه الرسالة المشفرة التي مررها قبل موته. وقد دبرت صوفي خطة ذكية موهت بها الشرطة بالهروب من اللوفر، لتتمكن من الإفلات من مطاردتها، وتنجح في تخليص لانغدون من مراقبتها وتعقبها.

ثم تبدأ عملية المطاردة التي شنتها الشرطة الفرنسة بقيادة النقيب بيزو فاش والملازم كولييه. وقد سخرا معا كل الوسائل المساعدة من أجل إلقاء القبض على المتهمين لانغدون وصوفي: أسطول الشرطة الفرنسية المجهزة بأعتد المعدات، مخابراتها الفائقة المهارة في التعقب والتجسس، كاميرات مراقبة وأجهزة إلكترونية حديثة للتنصت والاستقصاء، عقد اتفاق وتنسيق ثنائي مع الشرطة البريطانية من أجل ملاحقة المشتبهين...ورغم كل هذا لم تنجح الشرطة الفرنسية في إلقاء القبض على صوفي ولانغدون، بعد أن تمكنا من الفرار إلى لندن بمساعدة وتخطيط من صديقهما البريطاني لاي تيبينغ، ليضطر النقيب فاش للسفر إلى إنجلترا من أجل تكثيف عمليات البحث والتقصي عن الجناة الحقيقيين في عملية اللوفر.

ثم تأتي، أخيرا، عملية البحث والتحري التي قام بها فاش بمساعدة كولييه والشرطة الفرنسية والبريطانية، والتي ستسفر عن إلقاء القبض على المتهم الحقيقي "المعلم" لاي

تيبينغ، بعد محاصرته في كنيسة وستمنستر، وبعد إثبات الأدلة الجنائية على براءة لانغدون من التهمة الموجهة إليه، ومسؤولية المعلم ورفاقه (سيلاس وريمي) في كل ما جرى من جرائم قتل وسرقة وخطف، والتي حدثت بدافع الحصول على الوثائق السرية للكأس المقدسة.

هذه باختصار أهم ملامح السمة البوليسية في الرواية والتي لخصناها في خمس مراحل أساسية: الجريمة . الهروب . المطارة . البحث والتحري . الحل وظهور الحقيقة. ونضيف إليها حضور شخصية المتحري روبرت لانغدون في هذه الرواية على غرار روايات دان براون السابقة، تيمنا بالتقليد الذي دأب عليه رواد الرواية البوليسة السابقين: المحقق بوارو في روايات أكاتا كريستي، والمحقق شرلوك هولمز في روايات آرثر كونان دويل... ورغم صفته العلمية ووظيفته التربوية (أستاذ جامعي)، إلا أن مجال تخصصه: علم الرموز الدينية ساعده على حل العديد من الألغاز والشفرات المعقدة، وعلى الكشف عن مجموعة من الحقائق التي ستفتح الطريق أمامه للوصول إلى سر رسالة سونيير، وأسرة حفيدته، وطبيعة الكأس المقدسة (موضوع البحث في الرواية).

2. السمة الرمزية:

رواية شيفرة دافنشي حافلة بالرموز والأيقونات المستمدة من مجالات متنوعة وحقول متعددة. ونظرا للطابع البوليسي للرواية، فقد اختار دان براون تعزيز روايته بمجموعة من الرموز والتشفيرات والألغاز بهدف خلق نوع من الغموض والتشويق في مسار الأحداث. وتتضح هذه السمة الأيقونية بداية في المجال الفني، حيث انتقى دان براون مجموعة من اللوحات الفنية التي تزخر بأبعاد دلالية عميقة مرتبطة بالمعتقد الديني الذي تدافع عنه الرواية، وكل هذه اللوحات تعود إلى الفنان ليوناردو دافنشي باعتباره أحد الأعضاء البارزين في أخوية سيون. هذه الأخيرة كرست جهودها للدفاع عن مكانة الأنثى في الديانة والمسيحية، وشرعت لاتحادها الجسدي والوجداني مع الذكر تلميحا للارتباط والخصب واستمرارية الحياة.

ولوحات ليوناردو الأربع التي ذكرت في الرواية (الموناليزا . سيدة الصخور . الرجل الفيتروفي . ليلة العشاء الأخير) تحمل أبعادا أيقونية ورمزية توحي بهذا الاتحاد الذي أُصِّلَ له بداية مع المسيح وزوجته مريم المجدلية، وهذا ما يظهر جليا في الرسم الجذاري الخاص بليلة العشاء الأخير والذي يكشف ملامحا أنثوية تجانب المسيح في طاولة العشاء. واستلهام

الرمز الفني هو حيلة جمالية انسجمت مع طبيعة المعطيات والمعلومات التي استقاها الكاتب من هذا المجال، وجسدها إبداعيا في قالب حكائي مليء بالتكثيف والإيحاء.

وهناك، كذلك، حضور رمزي لبعض المعادلات والنظريات العلمية التي استقدمها دان براون من مجال الرياضيات وضمنها روايته، فمتوالية فيبوناتشي والرقم فاي هي رموز رياضية وظفت للتدليل على تكامل العالم وتوازن عناصره وتكافل مخلوقاته. وبالرغم من التوظيف التشفيري لهذه الإحصائيات في الرواية، إلا أن البعد الإيحائي العميق يحيل إلى التجانس الوثيق والاتحاد الوفيق بين الذكر والأنثى وكل عناصر الكون التي تنسج خيوط الحياة والاستمرارية.

ولا ننسى، أيضا، البعد الأيقوني للألغاز المشفرة التي أكسبت الرواية طابع الغموض والتشويق والتحفيز. فالرواية غنية بالأحاجي والتشفيرات والقصائد المبهمة الدلالة، وقد بنيت أحداثها وفق منطق التسلسل التلغيزي، لأن كل لغز يحيل إلى آخر جديد يتبعه، وكلما نجح الأبطال في فك أحجية إلا وقادهم الحل إلى غياهب ودوامة جديدة من الرموز والشفرات المحيرة والغامضة. لكن بصيرة لانغدون ونباهة صوفي ساعدتهما على تجاوز هذه المنعرجات المتتالية، مستثمرين في ذلك الخبرة والدراية الأكاديمية في المجال (لانغدون: الأستاذ الجامعي في علم الرموز)، والتجربة الإنسانية في التعلم والمهارة والذكاء (طفولة صوفي وتعلمها كيفية حل الأحجيات عن طريق ألعاب جدها).

3. السمة الدينية:

رواية "شيفرة دافنشي" هي مزيج وخليط من المعلومات والمعارف المستمدة من مجالات متعددة، ولا شك أن البعد الديني هيمن بشكل كبير على وقائع الرواية، كونها تستعرض قضية دينية خلقت إشكالات وأسئلة متعددة في المعتقد المسيحي. فدان براون يجسد في روايته صراعا ثنائيا بين تيارين دينيين متناقضين ومتعارضين من حيث المبادئ والأفكار:

. التيار المسيحي الكاثوليكي، ومركزه في الفاتيكان حيث المبادئ المسيحية التي رسخها الامبراطور الروماني قسطنطين في مجمع نيقية، بعد أن رسم الدين المسيحي ووحد الامبراطورية الرومانية واختار أربع أناجيل كدستور أساسي للمعتقد الكاثوليكي (انجيل متى،

ومرقص، ولوقا، ويوحنا)، ثم صادق على فكرة ألوهية المسيح (ابن الرب) عقب التصويت عليها في المجمع.

. التيار المسيحي السيوني (نسبة لجمعية سيون)، وهو تيار ديني يؤمن بأن المسيحية تعرضت للتحريف والتعديل على يد الامبراطور قسطنطين، الذي استغل نفوذه وقضى على الجماعات الدينية الوثنية التي كانت في صراعات مع المسيحيين. والأفكار السيونية التي تجسدها الرواية هي خليط من الوثنية والمسيحية، كونها من جهة تؤمن بالمسيح وتعتقد بأتباعه وتعاليمه، لكنها من جهة أخرى تمس بعض المعتقدات التي تمثل خطا أحمرا بالنسبة لمسيحيي اليوم. فالمسيح عند السيونيين هو إنسان عادي ككل الناس (وليس إلها) تزوج بمريم المجدلية (إعادة الاعتبار للأنثى في الدين) وأنجب منها بنتا سميت سارة، وذريته الملكية . باعتبار أن المسيح من ذرية داود وسليمان . استمرت مع الملوك الميروفنجيين في فرنسا ولازالت مستمرة حتى اليوم. وقد ضمت أخوية سيون عديد الشخصيات البارزة والمشهورة في مختلف المجالات مثل اسحاق نيوتن وفيكتور هيجو وليوناردو دافنشي ....

وانطلق دان براون في تجسيد هذا التقابل من وثائق ومعطيات ومنظمات دينية كرست هذا التناقض، أبرزها:

. وثائق دينية مسيحية: الأناجيل الأربعة (متى . مرقص . لوقا . يوحنا) . وثائق البحر الميت ووثائق نجع حمادي: وهي وثائق كرست إنسانية المسيح ورسخت دور المرأة في الدين المسيحي.

. منظمات دينية مسيحية: منظمة سيون السابقة الذكر . الفاتيكان، مركز المسيحية الكاثوليكية في العالم . منظمة الأوبوس داي، وهي جمعية دينية خاضعة للفاتيكان وتعاليم المسيحية الكاثوليكية.

. معالم دينية مسيحية: كنيسة سان سوليبس (فرنسا) . كنيسة الهيكل و كنيسة وستمنستر وكنيسة روزلين (بريطانيا)...

. شخصيات دينية مسيحية: المسيح . مريم المجدلية . سارة . يوحنا المعمدان . القديس بطرس . فرسان الهيكل . رهبان الفاتيكان . رجال الدين في منظمتي سيون والأوبوس داي....

4. السمة التاريخية:

كما أشرنا في مبحث سابق، يبرز الجانب التاريخي بوضوح في "شيفرة دافنشي" من خلال مجموعة من الأحداث التاريخية التي تشير إليها الرواية. وقد استفاد دان براون . في تشكيل نصوصه . من دراسته المعمقة للإطار الزمني والتاريخي الذي رافق ظهور المسيحية، وما عرفه العالم المسيحي من صراعات سياسية ولاهوتية حول مجموعة من القضايا الإشكالية. فاللمحة التاريخة هي استحضار للماضي واستنطاق لوقائع الأمس بغية تشكيل نظرة واضحة لما يقع في الحاضر، وهذا ما فرض على دان براون ربط السيرورة الزمنية لمجموعة من الأزمنة المتناثرة وتوحيدها، بهدف تجسيد عمل إبداعي محكم في صياغته الفنية ومتسق في أبنيته الجمالية، متجاوزا في ذلك طبائع الكتابة التوثيقية الجافة ومبتعدا عن خاصية الأسلوب التأريخي المقيد بالأخبار والمعطيات.

و"شيفرة دافنشي" حافلة بالمعطيات التاريخية التي امتزجب بالصبغة الدينية والطابع العقائدي، وهذا المزج راجع بالأساس لتركيز الكاتب على معالجة القضية الشائكة التي شغلت بال أغلب الباحثين والمفكرين اللاهوتيين حول طبيعة المسيح، هل هو كيان روحاني مقدس ومنزه عن الأفعال البشرية ؟ أم إنسان عادي يتزوج ويتناسل مثل سائر الخلق؟. وقد استرشد الكاتب في التعبير عن هذا الموضوع بمجموعة من الوقائع التاريخية التي عرفها العالم المسيحي:

. الصراع التاريخي الذي عرفته الامبراطورية الرومانية بين المسيحيين والوثنيين والذي ألزم الامبراطور قسطنطين بالتدخل من أجل توحيد قوة روما وتفادي انقسامها وتفككها. لهذا قرر قسطنطين سنة 325م إعلان الدين المسيحي دينا رسميا لروما في اجتماع سمي بمجمع نيقية، علما بأنه تشبت بعقيدته الوثنية ولم ينصر إلا وهو على فراش الموت. ورغم ذلك ظلت الرموز الوثنية وطقوسها حاضرة وممزوجة في الدين المسيحي، ويستدل دان براون على ذلك بعدة شواهد من قبيل أقراص الشمس المصرية التي أصبحت هالات تحيط برؤوس القديسين الكاثوليكيين، والرموز التصويرية لإيزيس وهي تحضن طفلها الرضيع "حورس" مثل مريم في احتضانها للمسيح، وتاج الأسقف والمذبح والمناولة ورمزية يوم الأحد (يوم الشمس) ...وكلها طقوس مستمدة من أديان وثنية قديمة.

. قصة فرسان الهيكل الذين كلفوا بتأمين طريق الحجاج إلى بيت المقدس، هذه الجماعة التي تأسست سنة 1118 وكان هدفها الأساسي هو حماية سلالة المسيح الممثلة في الملوك الميروفنجيين. وقد عثر هؤلاء الفرسان على وثائق سرية خطيرة .تحت هيكل سليمان . تثبت انتماء هذه العائلة الملكية إلى ذرية المسيح.

. قصة الملوك الميروفنجيين الذين حكموا فرنسا بين القرنين الخامس والسابع الميلادي. ودان براون في "شيفرة دافنشي" يقر بانتماء هذه الأسرة إلى نسل المسيح، ويرى بأنها تعرضت لمضايقات شتى من طرف الكنيسة الكاثوليكية نظرا لحجم الأسرار الخطيرة التي كانت تحتفظ بها.

5. السمة الدينامية (التشويق والتحفيز):

انطلقنا في بحثنا هذا . منذ البداية . من تأسيس نظري يقوم على تتبع الخصائص الدينامية لكل من المكونات الروائية والتقنيات السينمائية. وتبعا لهذا المسار فقد اخترنا دراسة العناصر التكوينية واللغوية والأسلوبية التي خلقت الدينامية السردية في رواية "شيفرة دافنشي"، وتبين لنا أن الرواية بمجملها وفي جميع مكوناتها تقوم على هذه الخاصية الحركية التفاعلية. لتكون "الدينامية"،بذلك، سمة مركزية هيمنت وطغت في كل فصول هذا النص الروائي.

وأحداث "شيفرة دافنشي" من بدايتها إلى نهايتها تتلون بطابع تشويقي حركي، يحفز المتلقي على مسايرة ما يجري وما سيجري. وقد تعمد دان براون على تجزئ روايته إلى مجموعة من الفصول المبعثرة والتي تترك مساحة من الانتظار والتوقع والتخمين لدى المتلقي، وهذا التنظيم انسجم مع الخطة السردية التي توخاها الكاتب والتي طوعها لتكون مسايرة للمنحى البوليسي المهيمن على الأحداث. وتنجلي أهم معالم الدينامية في النص الروائي من خلال العناصر التالية:

. حركية الأحداث وإثارتها المتنامية، خاصة مع تناسل الوقائع، وتعاقبها، وانفتاحها على آفاق غير منتظرة بالنسبة لتوقعات القارئ. فأحداث الرواية تعرف دينامية ونشاطا من حيث الانتقال والتغير والتجدد، انطلاقا من وتيرة سرد نابضة ومشوقة تزيد من تعلق القارئ بالرواية.

. فاعلية الشخصيات في الأحداث وتفاعلها المستمر في الرواية، انطلاقا من تصادم مجموعة من القوى المتعارضة من حيث الرغبات والمبادئ والأهداف، وهذا ما ساهم في اضطراب المنحى الحكائي القائم على التقارب والاتفاق أحيانا (الأبطال والقوى المساعدة) والتباعد والتنافر أحيانا أخرى (الأبطال والقوى المعاكسة).

. دينامية المبنى الزمكاني القائم على تنويع فضاء الحكي وتشعبه الوافر من خلال حضور عدد هائل من الأمكنة في الرواية، ثم الانتقال الزمني الكثيف المبني على تعطيل الإيقاع من جهة وتسريعه من جهة أخرى.

. تنويع طرق الحكي في الرواية والاستفادة من مطلق الامكانيات الأسلوبية والتعبيرية التي أغنت الرواية، سواء من خلال حضور تقنيات أدبية عديدة (السرد. الوصف. الحوار) أم من خلال توظيف معجم لغوي يتميز بترف اصطلاحي ومفاهيمي، وغزارة ثقافية تجمع حقولا معرفية متعددة: دينية. فنية. علمية ...

وفي نهاية هذا المبحث يمكننا القول بأن السمات الأدبية الحاضرة في رواية "شيفرة دافنشي" هي تلوين فني وتشكيل جمالي، نقل الرواية من عالمها النصي المغلق والمحدود إلى آفاق غزيرة مستمدة من مجالات مختلفة، لكنها تخضع لضوابط السياق الروائي، وتتكبل بقيوده الفنية والإجناسية، وتنضبط لقواعده الأدبية، وتستحضر خصائصه الأسلوبية ومكوناته السردية. وبطبيعة الحال لا يمكننا أن نقصي المهارة الأدبية والحذق الفني للروائي دان براون الذي ثابر واجتهد وبحث كثيرا، وغاص في غور متشعب من المعارف والأفكار والمعلومات، لينسج لنا خيوطا إبداعية بديعة في قالب لغوي محكم البنية، جميل الهيئة، ورائع الصنعة.

خاتمة:

ختاما لقد مكنتنا هذه الدراسة من استخلاص مجموعة من النتائج والاستنتاجات، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- رواية شيفرة دافنشي هي رواية بوليسية، توفرت فيها جميع القواعد الأساسية التي تحضر عادة في هذا النوع من الأعمال: الجريمة، المطاردة، القتل، التشويق، الغموض، الحل، المتحري المرجعي (لانغدون)...الخ.

- الدينامية والحركية هي الميزة الأساسية في إيقاع الرواية، لأن أحداثها غير مستقرة وساكنة بل متغيرة ومتقلبة بكيفية سريعة، على غرار الروايات البوليسية وتشويقها المثير والمحفز للقارئ.

- تسير وتيرة الرواية بكيفية تصاعدية، حيث تبدأ بالجريمة، ثم بالغموض الذي رافقها، ثم بعمليات البحث المتتالية، ثم باكتشاف الحل (سر الكأس المقدسة) والقبض على المجرمين.

- قامت الرواية على التلغيز والتشفير، كونها نقلت الأبطال من شيفرة إلى شيفرة، ومن متاهة إلى متاهة، ومن لغز إلى لغز. فالرواية قائمة على توالي الألغاز، وكلما حل الأبطال لغزا ما إلا وكشف لهم عن لغز آخر، وهكذا تستمر سلسلة التلغيز إلى النهاية.

- هيمنت في الرواية مجموعة من السمات والتيمات الأساسية التي تعود أساسا إلى البنية الفكرية والثقافية التي استند عليها الكاتب دان براون. فالرواية هي استنطاق لقضية دينية إشكالية، فيها اختلاف ونقاش. وهي قضية تحوم حولها مجموعة من المعلومات اللاهوتية والتاريخية والفنية والعلمية...الخ، لهذا فإن سمات الرواية تنوعت وتعددت تبعا لتعدد هذه الحقول: السمة الدينية - التاريخية - الرمزية - العلمية - الفنية..الخ.

- الرواية هي موسوعة ثقافية حضرت فيها مجموعة من المعارف التي تنتمي إلى مجالات وميادين متنوعة: الدين - الفن - التاريخ - العلم - الأدب..الخ.

مراجع البحث وإحالاته:

1. دان براون، شيفرة دافنشي، ترجمة: سمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت، ط1. 2004، ص: 13.

2. المرجع نفسه، ص: 14.

3 نفسه، ص: 15.

4. نفسه، ص: 21.

5. نفسه، ص: 21.

6. نفسه، ص: 85.

7. نفسه، ص: 85.

8.دان براون، ص: 56.

9.نفسه، ص: 59.

10.نفسه، ص: 59.

11.نفسه، ص: 79.

12.نفسه، ص: 80.

13.نفسه، ص: 95.

14.نفسه، ص: 102.

15.نفسه، ص: 47.

16.نفسه، ص: 113.

17.نفسه، ص: 141.

18.نفسه، ص: 150.149.

19.نفسه، ص: 181.

20.نفسه، ص: 192.

21.نفسه، ص: 207.

22.نفسه، ص: 213.212، بتصرف.

23 نفسه، ص: 222.

24 نفسه، ص: 243.242، بتصرف.

25.نفسه، ص: 261.

26.حامد دندشي، حول رواية شيفرة دافنتشي: الكنيسة .التاريخ .المخطوطات، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية .دمشق، ط1. 2008، ص: 93.

27.المرجع نفسه، ص: 96.

28.دان براون، ص: 263.

29.حامد دندنشي، مرجع سابق، ص: 81.

30.المرجع نفسه، ص: 90.

31.دان براون، المرجع السابق، ص: 265.

32.المرجع نفسه، ص: 266.

33.المرجع نفسه، ص: 267.

34.المرجع نفسه، ص: 288.

35.المرجع نفسه، ص: 360.

36.المرجع نفسه، ص: 360.

37. المرجع نفسه، ص: 374.
38. المرجع نفسه، ص: 375.
39 المرجع نفسه، ص: 396.
40. المرجع نفسه، ص: 398.
41. المرجع نفسه، ص: 430.
42. حامد دندنشي، ص: 99.
43. دان براون، ص: 1413، بتصرف.
44. المرجع نفسه، ص: 153.
45. المرجع نفسه، ص: 468.
46. المرجع نفسه، ص: 42.
47. المرجع نفسه، ص: 186.
48. نفسه، ص: 468.
49. المرجع نفسه، ص: 456. 457.
50. المرجع نفسه، ص: 468.
51. المرجع نفسه، ص: 398.
52. المرجع نفسه، ص: 399.
53. المرجع نفسه، ص: 413.
54. المرجع نفسه، ص: 424.
55. المرجع نفسه، ص: 465.
56. المرجع نفسه، ص: 444.
57. المرجع نفسه، ص: 445.
58. المرجع نفسه، ص: 445.
59. المرجع نفسه، ص: 445.
60. المرجع نفسه، ص: 463.
61. المرجع نفسه، ص: 464.
62. المرجع نفسه، ص: 471.
63. المرجع نفسه، ص: 482.
64. المرجع نفسه، ص: 486.
65. المرجع نفسه، ص: 490.

66.أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة، د.ط .د.ت، ص: 71.

67 . محمد أنقار، البلاغة والسمة، مجلة فكر ونقد، عدد 25 . سنة 2000، دار النشر المغربية . الدار البيضاء، ص: 1 (نسخة إلكترونية).

68 . محمد أنقار، ظمأ الروح أو بلاغة السمات في رواية "نقطة النور" لبهاء طاهر، مكتبة الأدب المغربي . مؤسسة الانتشار العربي .بيروت، ط1.2008، ص: 10.

69 . جميل حمداوي، بلاغة الصورة الروائية: أو المشروع النقدي العربي الجديد، سلسلة شرفات،ع: 42. 2014، منشورات الزمن .الدار البيضاء، ص: 26

70 . محمد مشبال، البلاغة والأدب، دار العين للنشر. القاهرة، ط1.2010، ص: 88.

71 . المرجع نفسه، ص: 90.

.لائحة المصادروالمراجع:

المصادر:

. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة، د.ط .د.ت.

.دان براون، شيفرة دافنشي، ترجمة: سمة محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم ناشرون .بيروت، ط1.2004

المراجع:

. جميل حمداوي، بلاغة الصورة الروائية: أو المشروع النقدي العربي الجديد، سلسلة شرفات،ع: 42. 2014، منشورات الزمن .الدار البيضاء.

. حامد دندشي، حول رواية شيفرة دافنتشي: الكنيسة . التاريخ . المخطوطات، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية .دمشق، ط1.2008.

. محمد أنقار، البلاغة والسمة، مجلة فكر ونقد، عدد 25 . سنة 2000، دار النشر المغربية . الدار البيضاء (نسخة إلكترونية).

. محمد أنقار، ظمأ الروح أو بلاغة السمات في رواية "نقطة النور" لبهاء طاهر، مكتبة الأدب المغربي . مؤسسة الانتشار العربي .بيروت، ط1.2008.

. محمد مشبال، البلاغة والأدب، دار العين للنشر. القاهرة، ط1.2010.